منهج القرآن الكريم في حماية العقيدة في ضوء تفسير الظلال

The Quran's methodology in protecting faith (Aqidah) through the lens of Sayyid Qutb's exegesis

عودة عبد عودة عبد الله[1*]، أحلام محمد رشاد سليم[2]

[1] جامعة النجاح الوطنية (فلسطين) odeh74a@najah.edu

[2] جامعة النجاح الوطنية (فلسطين) Saleem.ahlam@gmail.com

تاريخ الارسال: 2024/10/30 تاريخ القبول: 2025/12/07 تاريخ النشر: 2025/12/27

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان منهج القرآن الكريم في حماية العقيدة في ضوء تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب، الذي يُعدّ من أهم التفاسير التي عالجت قضايا العقيدة وطرحتها بأسلوب يجعلها مثالاً حيّا واقعاً بعيداً عن المسائل الكلامية والنظرية. وذلك انطلاقاً من كون العقيدة هي الأساس المتين الذي يبنى عليه الإسلام، وحمايتها والذود عنها من أهم القضايا التي تستدعي البحث والدراسة.

وقد اتبعتْ هذه الدراسة المنهجين الاستقرائي والتحليلي، وذلك باستقراء سُبل حماية العقيدة في تفسير الظلال، وتحليل ما ورد من قضايا العقيدة فيه؛ لاستنباط أهم وسائل حماية العقيدة والدفاع عنها وترسيخها في نفوس المسلمين ومنعها من الانهيار.

وقد تبين من خلال هذه الدراسة مدى اهتمام صاحب الظلال بمعالجة هذه القضية، فبثَّ العديد من الأساليب الوقائية والدفاعية في تفسيره. فمن أهم الأساليب الوقائية: النهي عن مجالسة المنافقين، والنهي عن طاعة أهل الكتاب، والتحذير من المساومة على العقيدة. ومن أهم الأساليب الدفاعية: الحجر على دعاة الفتنة، والجهاد في سبيل الله، وتفنيد الشبهات وبيان بطلانها.

الكلمات المفتاحية: سيد قطب، في ظلال القرآن، العقيدة، التفسير.

---

[*] المؤلف المرسل

Abstract:

This study aims to clarify the Quran's methodology in protecting faith (Aqidah) through the lens of Sayyid Qutb's exegesis, Fi Zilal al-Quran (In the Shade of the Quran), which is recognized as one of the most significant works that addresses faith-related issues in a practical and realistic manner, distancing itself from theoretical debates. The significance of Aqidah as the solid foundation upon which Islam is built underscores the importance of safeguarding and defending it, which warrants further investigation.

The study employs both inductive and analytical methods, surveying the ways in which faith is protected in Fi Zilal al-Quran and analyzing the faith-related issues addressed to derive key methods of safeguarding Aqidah, strengthening it in Muslims' hearts, and preventing its deterioration.

The findings reveal Sayyid Qutb's deep concern with this issue, as he employs various preventive and defensive methods in his interpretation. Key preventive methods include the prohibition of associating with hypocrites, warning against obedience to the People of the Book, and cautioning against compromising one's faith. Among the defensive methods are restricting the influence of those who spread discord, striving in the path of Allah (jihad), and refuting doubts by demonstrating their invalidity.

Keywords: Sayyid Qutb, Fi Zilal al-Quran, Aqidah, Tafsir.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من أعظم نعم الله جل وعلا على أمة الإسلام أن أنزل إليها خير كتبه، وأرسل إليها خيرة خلقه، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، ((كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ)) [آل عمران: 110]، كما تكفل الله لها بحفظ هذا الدين وكلفها بتبليغ أعظم رسالة، والجهاد في سبيلها، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ومما لا ريب فيه أن العقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الإسلام الشامخ العظيم، ومن هنا فإن ترسيخ العقيدة في النفوس، وحمايتها من أي زيغ وانحراف، من أعظم الأعمال. فرسول الله ﷺ، قضى جلّ العهد المكي وهو يرسخ العقيدة ويبنيها ويصححها ويثبتها في نفوس المسلمين.

ولأهمية هذا الأمرِ وَعِظَمِهِ، فقد أرشدنا الله عز وجل في القرآن الكريم، إلى سُبل حماية العقيدة، وإن من أهم التفاسير التي اعتنت بهذه القضية، تفسير (في ظلال القرآن)؛ لسيد قطب، الذي تميّز في بيان منهجية القرآن في صياغة العقيدة، وطرحها بأسلوب يُخرجها من مأزق التعقيدات اللفظية، والنظريات الفلسفية، ليجعلها حية في حياة الإنسان، تُلامس شغاف قلبه، وتتمكن من كل ذرة في كيانه، لتنعكس على حياته ومجتمعه؛ فيكون قوياً صلباً متماسكاً لا تعصف به نوائب الدهر.

ولذلك جاء هذا البحث ليعرض لمنهج القرآن في حماية العقيدة، وترسيخ بنيانها، من خلال ما خطّه سيد في تفسير الظلال.

أهداف الدراسة:

1. معرفة منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة وبيان دورها في الحماية من الشبهات في ضوء تفسير الظلال.
2. معرفة الأساليب الوقائية التي يجب اتباعها لحماية العقيدة من أي خطر في ضوء تفسير الظلال.

3. معرفة الأساليب الدفاعية التي يجب اتباعها بعد تعرض العقيدة للخطر، في ضوء تفسير الظلال.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة هذه الدراسة، في الإجابة عن سؤال رئيس هو؛ ما هو منهج القرآن في حماية العقيدة في ضوء تفسير الظلال؟ ويتفرع عنه مجموعة من الأسئلة المهمة، هي:

1. ما منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة في ضوء تفسير الظلال؟
2. ما الأساليب الوقائية التي استخدمها القرآن الكريم في تحصين العقيدة ابتداء، في ضوء تفسير الظلال؟
3. ما الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم في حماية العقيدة في حال تعرضها للخطر، في ضوء تفسير الظلال؟

منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع القضايا التي تحدث فيها سيد قطب عن العقيدة وأهميتها وضرورة الدفاع عنها في تفسير الظلال. ثمّ المنهج التحليلي، وذلك بتحليل هذه النصوص لتجلية موقف سيد قطب من هذه القضايا.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات السابقة التي تم الوقوف عليها، والتي لها علاقة بهذا الموضوع:

1. خصائص العقيدة الإسلامية وآثارها من خلال تفسير الظلال لسيد قطب: فراس فريد أبو بكر، رسالة ماجستير في أصول الدين، جامعة النجاح الوطنية، 2017م.
2. منهج القرآن في دحض شبهات الملحدين: أفنان بنت حمد الغماس، رسالة ماجستير في العقيدة الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة. 1437هـ.
3. المنهج العقدي في العهد المكي، دراسة تحليلية: رسالة ماجستير للباحث شادي محمد أبو دية جامعة الخليل.

4. معالم المنهج العقدي في التفسير عند سيد قطب: بحث محكم للدكتور عودة عبد الله، بمشاركة الباحثين: إبراهيم داوود، وعامر جود الله. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، 2016م.

وتميّزت هذه الدراسة عن سابقاتها بتخصصها في جزئية منهج القرآن في حماية العقيدة في ضوء تفسير الظلال، الأمر الذي لم نجده في الدراسات السابقة.

خطة الدراسة: يأتي هذا البحث في أربعة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بسيد قطب وتفسيره وبيان أهمية العقيدة عنده

المبحث الثاني: عناية القرآن ببناء العقيدة في ضوء تفسير الظلال

المبحث الثاني: الأساليب الوقائية لحماية العقيدة في ضوء تفسير الظلال

المبحث الثالث: الأساليب الدفاعية لحماية العقيدة في ضوء تفسير الظلال.

المبحث الأول: التعريف بسيد قطب وتفسيره وبيان أهمية العقيدة عنده:

المطلب الأول: التعريف بسيد قطب وتفسيره

هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد في مصر عام 1906م، في قرية موشة في أسيوط، ونشأ في أسرة عريقةٍ مرموقةٍ متدينّةٍ، كان لها الأثر العظيم في تربيته وتكوين شخصيّته. أكمل سيّد تعليمه حتى تخرج في (دار العلوم)، سنة 1933م، حاصلا على شهادة الليسانس في الآداب، مع دبلوم في التّربية، وأضاف لذلك دراسة التفسير والحديث والفقه، وكان منوّع الثقافة؛ فدرس السريانية والعبرية والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة[1].

نشأ في بدايات حياته على تقاليد الإسلام، ثم بدأتْ صلته بالدين تقلّ بعد انتقاله إلى القاهرة حتى مرَّ بمرحلة مليئة بالشكوك، ثم عاد فأقبل على دراسة القرآن دراسة تعمق وتدبر وتفكر، فبدأ رحلة العودة إلى الدين وبدأ يتأثر في القرآن أكثر فأكثر، بدأ حياته السياسية ونشاطه السياسي في الحزب الوطني، ثمّ بعد سفره لأمريكا وعودته منها، زادت قناعاته بأن الإسلام هو الفكر الحق، وهو الذي يجب أن يسود ويقود المجتمع المصري، والعالم أجمع. وفي طريق دعوته الطويل تعرض للعديد من المحن والابتلاءات وسجن عدة مرات، إلى أن تم إعدامه عام 1966م، فمات شهيداً عزيزاً في سبيل عقيدة لا إله إلا الله. له مؤلفات عديدة في مجالات كثيرة منها الأدب والنقد والتربية والدعوة والحركة، منها: (الإسلام ومشكلات الحضارة)، و(خصائص التصور الإسلاميّ ومقوماته)، و(هذا الدّين)، و(المستقبل لهذا الدّين)، و(مشاهد القيامة في القرآن)، و(التّصوير الفنّي في القرآن)، و(معالم في الطّريق)، إلا أن أشهرها، تفسيره (في ظلال القرآن) [2].

ويُعَدُّ تفسير (في ظلال القرآن) من أشهر التفاسير المعاصرة، وهو تفسير يتميز بأسلوبه ومنهجه الفريد، وخاصة في طريقة عرضه لقضايا العقيدة، التي سنتناول شيئاً منها في هذه الدراسة. وقد أطلق عليه الخالدي "التفسير الحركي"[3]، وأدرجه الرومي تحت "التفسير الأدبي البياني"[4]، وعدّه فضل عباس من "التّفسير التربوي الوجداني"[5].

ويتميز تفسيره بالتوازن في عرض القضايا؛ فمثلا يُلاحظ تجنبه في عرضه تفسير الآيات، الخوضَ في المباحث الكلامية، والجدلية، والفقهية المطولة، والإسرائيليات، ومباحث الإعراب، والقراءات. يقول رحمه الله: "ودخلت المعاهد العلمية، فقرأت تفسير القرآن من كتب التفسير، وسمعت تفسيره من الأساتذة، ولكني لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللذيذ الجميل، الذي كنت أجده في الطفولة والصبى... لقد طُمِسَتْ كلُّ معالم الجمال فيه، وخَلَا من اللذة والتشويق، تُرى هما قرآنان؛ قرآن الطفولة العَذْب الميَسَّر المشَوِّق، وقرآن الشباب العَسِر المعَقَّد المهَزَّق؟!! أم أنها جِناية الطريقة المتَّبعة في التفسير؟!"[6].

ومن يقرأ في الظلال يلمس تفاوتًا في عمق التفسير بين بعض السور؛ وسبب ذلك أنّه قد كتب على عدة مراحل وفي فترات متباعدة، وكانت نظريته في التفسير تتشكل خلال ذلك وتتكامل، وقد أعاد كتابة الأجزاء الثلاثة عشر الأولى بتنقيح وتركيز، وكان يريد أن يُتم تنقيح باقي الأجزاء، ولكن إعدامه حال دون ذلك[7].

والقارئ في تفسير "الظلال" يلاحظ تأثير أسلوبه الأدبي عليه في بعض ألفاظه وعباراته. وكانت هذه من الخصائص البارزة فيه، وقد أدت بعض تعابيره البلاغية إلى فهم مراده بشكلٍ خاطئٍ، واستغلها بعض المغرضين للهجوم عليه، واتهامه في عقيدته وفكره[8].

المطلب الثاني: أهمية العقيدة في تفسير الظلال

المتأمل في تفسير الظلال، يجده تفسيراً يهتم بالعقيدة بأسلوب أدبيّ معاصرٍ، يُخرج العقيدة من مأزق التعقيدات اللفظية، والخلافات الجدلية، والمسائل الكلامية، لتتجسد بأسلوب حيّ يلامس القلب، ويخاطب العقل، فتنعكس واقعاً يعيشه المرء في تفاصيل حياته؛ ليقيم هذه العقيدة في نفسه أولاً، وفي هذا المجتمع المسلم ثانيا؛ ليغدو بناء شامخاً لا يقدر عليه أحد مهما عصفت به الفتن.

لقد سعى سيد قطب في تفسيره لربط العقيدة بالواقع، لتصبح مثالاً حياً عملياً؛ لا مجرد نظريات كلامية. واللافتُ في الظلال أسلوب تناوله لقضايا العقيدة، وفي ذلك يقول سيد قطب: "عشت- في ظلال القرآن- هادئ النفس، مطمئن السريرة، قرير الضمير،

عشت أرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر، عشت في كنف الله وفي رعايته، عشت أستشعر إيجابية صفاته تعالى وفاعليتها، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: 62]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18]... كذلك تعلمت أن يد الله تعمل، ولكنها تعمل بطريقتها الخاصة، وأنه ليس لنا أن نستعجلها ولا أن نقترح على الله شيئا. فالمنهج الإلهي- كما يبدو في ظلال القرآن- موضوع ليعمل في كل بيئة، وفي كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية، وفي كل حالة من حالات النفس البشرية الواحدة"[9].

ويعلل سيدّ سر التركيز على العقيدة في منهجية الإصلاح قائلا: "إن العقيدة الإسلامية ولو أنها عقيدة، إلا أنها عقيدة تمثل منهج حياة واقعية للتطبيق العملي ولا تقبع في الزاوية الضيقة التي تقبع فيها الأبحاث اللاهوتية النظرية! كان القرآن وهو يبني العقيدة في ضمائر الجماعة المسلمة يخوض بهذه الجماعة المسلمة معركة ضخمة مع الجاهلية من حولها كما يخوض بها معركة ضخمة مع رواسب الجاهلية في ضميرها وأخلاقها وواقعها"[10].

وبذلك يلحظ القارئ كيف تناول سيد العقيدة وطرحها بطريقة تكون فيها هي المحور والمنهج في هذه الحياة، فإن صلحت العقيدة صلحت الأمة.

المبحث الثاني: عناية القرآن ببناء العقيدة في ضوء تفسير الظلال:

إن صمود أي بناء أمام الزلازل والصدمات، يرجع في أصله إلى مدى قوة أساساته وسلامة بُنيانه، وكذلك الحال في بنيان العقيدة، فكلما كان بنيانها سليماً متيناً في القلوب والنفوس، كانت أصلب أمام الشّبهات، وقد تميّز تفسير الظلال في تقرير أهمية بناء العقيدة بأسلوب فريد وكلام دقيق، وذلك لضمان صمودها في وجه الابتلاءات والفتن بأشكالها المتعددة. وتظهر عناية سيد ببناء العقيدة في المطالب الآتية:

المطلب الأول: جعل العقيدة الأساس الذي تُبنى عليه كافة مجالات الحياة:

يرى سيد قطب أن هذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة، فمن أهم القواعد التي اتبعها القرآن الكريم في بناء العقيدة، ربطها بمجالات الحياة كافة، وهذا الأمر يتجلى بوضوح في تفسير الظلال، وهناك الكثير من الأمثلة التي أوردها سيد في ظلاله على هذا الأمر؛ منها:

أولاً: الحديث عن العقيدة في سياق أحكام الطلاق

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:231]. يظهر بوضوح كيف جاء الحديث عن العقيدة خلال بيانه أحكام الطلاق، فأول ما كان يخطر على بالهم من نعم الله عليهم، هو وجودهم كأمة، مقارنة مع حالهم قبل أن يأتيهم الإسلام، إنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً! كانوا فقراء العقل والروح، عقيدتهم مهلهلة لا تقوم على شيء. ومن هذه الوهدة المغلقة أطلقهم الإسلام، وأنشأهم ومنحهم الوجود الكبير، الذي تعرفهم به الإنسانية كلها، أعطاهم ما يعطونه لهذه الإنسانية، أعطاهم العقيدة الضخمة الشاملة التي تفسر الوجود كما لم تفسره عقيدة قط، والتي تمكنهم من قيادة البشرية قيادة راشدة رفيعة، ومنحهم الشخصية المميزة بهذه العقيدة التي تجعل لهم وجوداً بين الأمم والدول، ولم يكن لهم قبلها أدنى وجود[11].

ويقول سيد قطب عن ربط العقيدة بأحكام الطلاق في موضع آخر: "يقف الإنسان مدهوشا أمام هذا الحشد من الحقائق في معرض الحديث عن الطلاق – حتى ليوجه الخطاب إلى النبي ﷺ بشخصه، وهو أمر عام للمؤمنين وحكم عام للمسلمين، زيادة في الاهتمام وإشعارا بخطورة الأمر المتحدث فيه. وأمام هذا التفصيل الدقيق للأحكام حالة حالة، والأمر المشدد في كل حكم بالدقة في مراعاته، وتقوى الله في تنفيذه، ومراقبة الله في تناوله. والإطالة في التعقيب بالترغيب والترهيب، إطالة تشعر القلب كأن هذا الأمر هو الإسلام كله! وهو

الدين كله! وهو القضية التي تفصل فيها السماء، وتقف لتراقب تنفيذ الأحكام! وتعد المتقين فيها بأكبر وأسمى ما يتطلع إليه المؤمن وتوعد الملتوين والمتلكئين والمضارّين بأعنف وأشد ما يلقاه عاص وتلوح للناس بالرجاء الندي والخير المخبوء وراء أخذ الأمر بالمعروف والسماحة والتجمل والتيسير"[12].

ثانياً: الحديث عن العقيدة في سياق حديثه عن المعاملات

عند حديثه عن الشهادة على الرهن، وأثناء تفسيره لقوله تعالى: ((فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه)) [البقرة: 283]، يقول سيد قطب: "وهكذا يعقب على التشريع المدني البحت بهذا التوجيه الوجداني البحت، ويربط بين التشريعات للحياة وخالق الحياة، بذلك الرباط الوثيق... فالإسلام يصنع القلوب التي يشرع لها ويصنع المجتمع الذي يقنن له، صنعة إلهية متكاملة متناسقة، تربية وتشريع، وتقوى وسلطان، ومنهج للإنسان من صنع خالق الإنسان"[13].

وفي تفسيره لسورة الأنعام، عند قوله تعالى: (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [الأنعام:152]. أظهر كيفية ربط المعاملات التجارية بالعقيدة في سياق قرآني واحد، يقول: "والسياق يربطها بالعقيدة لأن المعاملات في هذا الدين وثيقة الارتباط بالعقيدة، ولقد كانت الجاهليات -كما هي اليوم- تفصل بين العقيدة والعبادات، وبين الشرائع والمعاملات، ومن ثم يربط السياق القرآني بين قواعد التعامل في المال والتجارة والبيع والشراء، وبين هذا المعرض الخاص بالعقيدة، للدلالة على طبيعة هذا الدين"[14].

ثالثاً: الحديث عن العقيدة في سياق أحكام الذبائح

يعقب سيد على آيات تحريم بعض الذبائح الواردة في مقدمة سورة الأنعام، وهي سورة موضوعها الأساسي العقيدة، مبيناً كيف تعانقت آيات التحريم مع آيات العقيدة والحاكمية، لأن هذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة. يقول: "هي القضية التي تحتشد لها سورة مكية، موضوعها ليس هو النظام وليس هو الشريعة، إنما موضوعها هو العقيدة، وتحشد لها كل هذه المؤثرات، وكل هذه التقريرات... وهو يواجه الجاهلية وأهلها في

أمر هذه الأنعام والذبائح والنذور، وهي المناسبة التي تتمثل فيها قضية حق التشريع، وربطها بقضية العقيدة كلها، قضية الألوهية والعبودية، وجعلها مسألة إيمان أو كفر، ومسألة إسلام أو جاهلية ... كل جزئية صغيرة في الحياة الإنسانية يجب أن تخضع خضوعا مطلقا لحاكمية الله المباشرة الممثلة في شريعته. وإلا فهو الخروج من هذا الدين جملة، من أجل الخروج على حاكمية الله المطلقة في تلك الجزئية الصغيرة"[15].

يتبين مما سبق أن ارتباط العقيدة بمجالات الحياة كافة، يجعلنا نعلم يقيناً أن العقيدة ضرورة لا غنى عنها للفرد والجماعة، ضرورة للفرد؛ ليطمئن، ويسعد، وتطهر نفسه، وضرورة للمجتمع؛ ليستقر، ويتماسك، ويرتفع، وينهض. فالفرد بغير عقيدة كالريشة في مهب الريح تطير يمينا وشمالا، فلا يسكن له حال ولا يستقر له قرار، وليس له جذور تثبته. والمجتمع بغير عقيدة، مجتمع غابة وإن ظهرت له بوارق حضارة، فهو مجتمع تعاسة، ليس له غايات وأهداف، وأهله يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام. وربط العقيدة بمجالات الحياة كافة، يجعل ارتباطه بها ارتباطا عميقا متأصلا، لا مجرد ارتباط نظري، أو شكلي أو جزئي، مما يسهم في حماية هذه العقيدة.

المطلب الثاني: ربط العقيدة بالعمل:

إن قضية بناء العقيدة تعد قضية كبرى لا يصح أن نختصر فيها الدروس ونوجز فيها المحاضرات؛ فبناء العقيدة ليس مجرد كلام للتنظير الذهني، إذ لم يكن غاية الأمر فيما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقام يدعو إليه الناس أن ينطقوا بلا إله إلا الله، فلو كان الأمر كذلك لكان غايةً في السهولة، ولَمَا استغرق هذا الوقت الطويل الذي استغرقه رسول الله في تقرير العقيدة في نفوس الناس. ويعمّق سيد قطب هذا المفهوم ويركز عليه في ظلاله كثيراً، فيقول: "ندرك أن الكلمات الاعتقادية في هذا الدين ليست مجرد ألفاظ تقال باللسان. فشهادة أن لا إله إلا الله ليست عبارة ولكنها منهج. فإذا ظلت مجرد عبارة فليست هي «ركن» الإسلام المطلوب المعدود في أركان الإسلام! ومن ثم ندرك القيمة الحقيقية لمثل هذه الشهادة التي ينطق بها اليوم ملايين ولكنها لا تتعدى شفاههم، ولا يترتب عليها أثر في

حياتهم. وهم يحيون على منهج جاهلي شبه وثني، بينما شفاههم تنطق بمثل هذه العبارة. شفاههم الجوفاء! إنّ «لا إله إلا الله»، منهج حياة؛ هذا ما ينبغي أن يستقر في الضمائر والأخلاد، كيفما تبحث عن المنهج الكامل الذي تشير إليه مثل هذه العبارة وتتحراه"[16].

ويكرّر سيد قطب هذه القضية المفصليّة في العقيدة كثيراً ويركز عليها، فمرة ينبه على أن الناس لو قالوا بألسنتهم ألف مرة لا إلا الله فهذا ليس هو الإسلام؛ إنما هو نظام حياة ومنهج عمل. فلن يكون الإسلام إذن هو النطق بالشهادتين دون أن يتبع ذلك تطبيق لمعناها وحقيقتها ومدلولها العمليّ؛ فتكون منهج حياة. ويذكر في ثنايا ظلاله عن أولئك الذين يرددون في المآذن في مشارق الأرض ومغاربها (لا إله إلا الله) بلا مدلول ولا واقع؛ فهولاء يزعمون أنهم مسلمون لمجرد نطقهم هذه الكلمات وهذا والله ما هو بمقصد عقيدة الإسلام، إنما هي عقيدة علم وعمل ومنهج حياة.[17]

ويلاحَظُ ممّا سبق كيف أبدع سيد في تفسيره، تعميق هذا المفهوم، والتركيز عليه كيفما استطاع، ليحدث الأثر الحقيقي للعقيدة في النفس البشرية، ثم المجتمع الإسلامي.

وسأذكر هنا مثالاً علّه يُعزّز في نفس القارئ عِظَم أهمية ربط العقيدة بالعمل، وكيف أنها من أهم القواعد في بناء العقيدة والتخلص من الوثنية والجاهلية. يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [المُؤۡمِنُون: 84 - 89].

(قُلْ: لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟) فهو سؤال عن ملكية الأرض ومن فيها: (سَيَقُولُونَ: لِلَّهِ)، ولكنهم مع ذلك لا يذكرون هذه الحقيقة وهم يتوجهون بالعبادة لغير الله؛ فما دُمْتم أقررتم بأن الأرض ومَنْ فيها لله {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ[المؤمنون:85] يعني: ما الذي صرفكم عن مالك الأرض وخالقها ودفعكم لعبادة غيره؟

ثم يقول الحق سبحانه: {قُلْ مَن رَّبُّ السماوات السبع...} فهو سؤال عن الربوبية المدبرة، المصرفة للسماوات السبع والعرش العظيم ونلحظ هنا أنهم لم يجادلوا في هذه المسألة،

ولم يقولوا مثلاً: إنها سماء واحدة هي التي نراها، مما يدل على أنها أمر غير منكر عندهم، وما دُمْتم تعترفون بأن لله مُلْكَ السماوات والأرض، وله العرش العظيم، فلماذا لا تتقون هذا الإله؟ لماذا تتمردون على منهجه؟

(قُلْ: مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟). وهنا السؤال عن السيطرة والسطوة والسلطان، فالحق – سبحانه وتعالى – يجير مَنِ استجار به، ويغيث مَن استغاثه، لكن {وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ} [المؤمنون: 88] لأن الذي يجيرك إنما يجيرك من مساوٍ له في القوة، فيستطيع أن يمنعك منه، ويحميك من بطشه، فَمنْ ذا الذي يحميك من الله؟ ومَنْ يجيرك إنْ كان الله هو طالبك؟!

وهم يقولون في هذا كله (لله) إذن: فماذا بقي لكم؟ ما الذي منعكم أن تتقوا الذي تؤمنون بأنه المالك للأرض وللسماء وبيده كل شيء؟ إنه مجرد استكبار وعناد وغطرسة، وإلا فماذا تعني كلمة (الله) التي تنطقون بها؟[18]

هكذا يعلمنا القرآن كيف أن مجرد الإقرار بوحدانية الخالق وإفراد الصانع على الرغم من أهميته لا يكفي، فكل علم يجب أن يتبعه عمل، هذا كله يُرينا كيف أن العقيدة علم وعمل، فمن علم أن الله عزو جل الخالق العظيم الذي يجير ولا يجار عليه، عليه أن يتقيه ويطيعه، فإن استقر هذا الاعتقاد في قلبه فسيتبعه عمل يُرسخ هذه العقيدة، فالإسلام علمنا من هو الله، وحدثنا عن صفاته وعظمته، وكذلك عن هذا الدين العظيم، الذي أوحى لنا به، ولم يتركنا هكذا.. بل أتبع كل علم بعمل يُرسخ فينا هذه المعاني العظيمة؛ لتستقر في النفوس، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه اللسان، وعملت به الجوارح والأعضاء.

المطلب الثالث: الاستمرار في ترسيخ العقيدة:

إن قضية ترسيخ العقيدة لها أهمية كبرى، وقد عبّر سيّد قطب عن ذلك في تفسيره بقوله: "لم يبدأ المنهج الإسلامي في علاج رذائل الجاهلية وانحرافاتها، من هذه الرذائل والانحرافات، إنما بدأ من العقيدة. بدأ من شهادة أن لا إله إلا الله، وطالت فترة إنشاء لا إله إلا الله هذه في الزمن؛ حتى بلغت نحو ثلاثة عشر عاماً، لم يكن فيها غاية إلا هذه الغاية! تعريف الناس بإلههم الحق وتعبيدهم له وتطويعهم"[19]. ويقول في موضع آخر: "إذن ينبغي أن تطول مرحلة بناء العقيدة وأن تتم خطواتها على مهل وفي عمق وتثبت؛ وهكذا ينبغي ألا تكون مرحلة بناء العقيدة مرحلة دراسة نظرية للعقيدة، ولكن مرحلة ترجمة لهذه العقيدة في صورة حية، متمثلة في ضمائر متكيفة بهذه العقيدة، ومتمثلة في بناء جماعي يعبر نموه عن نمو العقيدة ذاتها، ومتمثلة في حركة واقعية تواجه الجاهلية، وتخوض معها المعركة في الضمير وفي الواقع كذلك؛ لتتمثل العقيدة حية وتنمو نموا حيا في خضم المعركة".[20]

فها هو ذا رسول الله، ﷺ، لبث طيلة العهد المكي يزرع العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين، ويُعنى العناية القصوى بالتأسيس، والتكوين والتركيز على العقيدة الخالصة لله تعالى، ونبذ الشرك بكل أشكاله، وإدخال أناس في دين الإسلام على أساس التوحيد الخالص، وهذا جليّ في كافة السور المكية؛ إذ إن أساس موضوعاتها، في غالب الأحيان، هو العقيدة. ولم يتوقف القرآن عن بث العقيدة الصحيحة وترسيخها في النفوس أبداً، حتى بعد انتهاء العهد المكي، يُلاحظ بأن السور المدنية كذلك تحتوي على توجيهات عقدية مهمة، وهذا يجعلنا ندرك أن استمرارية ترسيخ العقيدة في النفوس أمر في غاية الأهمية؛ حتى يبقى البناء شامخاً صلبًا لا تهزه الريح العاتية، كان يجب أن يستمر ترسيخ العقيدة، وتعاهدها، ودوام تثبيتها في النفوس؛ ليتصدى المرء بعقيدته القوية الراسخة لكل ما يغشاه من فتن.

المبحث الثالث: الأساليب الوقائية لحماية العقيدة:

لا شك أن تجنب أسباب المرض، أهون وأسهل وأولى من تأجيل العلاج إلى ما بعد الإصابة بالمرض، ولعلّ من يُطالع تفسير الظلال يجد في ثناياه إبداعاً في إرشاد الإنسان المؤمن من خلال آيات كتاب الله إلى الأساليب الوقائية التي يحمي بها عقيدته من أيّ خطر يحلُّ بها، ومن أهم هذه الأساليب:

المطلب الأول: النهي عن الجلوس مع المنافقين وأصحاب البدع والأهواء

إن أول السّبل، التي يجب على المسلم أن يسلُكها ليقي عقيدته من الفتن، التي يمكن أن تدبّ فيها، أن ينأى بنفسه عن مجالس النفاق والمنافقين؛ تلك المجالس التي تُسمع فيها آيات الله يُكفر بها ويُستهزأُ، فيسكتُ المرء أحياناً ويتغاضى حياءً وضعفاً ومجاملةً.

وقد ورد النهي عن ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:140]

ويصفُ سيد قطب هذا المشهد وصفاً عميقاً دقيقاً، فيقول:" أولى مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى، يسمي ذلك تسامحاً، أو يسميه دهاء، أو يسميه سعة صدر وأفق وإيماناً بحرية الرأي!!! وهي هي الهزيمة الداخلية تدب في أوصاله وهو يموه على نفسه في أول الطريق، حياء منه أن تأخذه نفسه متلبساً بالضعف والهوان! إن الحمية لله، ولدين الله، ولآيات الله. هي آية الإيمان. وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار. وإن الحمية لتكبت في أول الأمر عمداً. ثم تهمد. ثم تخمد. ثم تموت!"[21].

انظر كيف كان سيد قطب دقيقاً في وصفه، يعبّر عمّا يجري في هذا العصر، فكلّنا يرى أدعياء حرية الرأي وهم يزعمون أن التنازل في هذه المجالس والسكوت أحيانا والتغاضي أحيانا أخرى، هو من باب السماحة، وسعة الصدر، واتساع الأفق. وهذا والله إنه لبعيد أشدّ البعد عن الإيمان. فما ذلك إلا ليزعزعوا هذه العقيدة، وينخروا في جسدها. ولاحظ كيف

أشار سيد أن الحمية لله ولدين الله هي آية الإيمان؛ فبقدر يقظة حميتك لله، ولدينه تكون قوة عقيدتك، وإذا ما تنازلت في مثل هذه المجالس فإن حميتك تخبو، وبذلك تهمد العقيدة ثم تخمد فتموت.

ويعلّل سيد قطب سبب قصر النهي على المجالس التي يكفر فيها بآيات الله ويستهزأ بها، وعدم شموله لكل علاقات المسلمين بهؤلاء المنافقين، فيرى أن ذلك كان تبعاً لطبيعة الفترة التي كانت تجتازها الجماعة المسلمة- إذ ذاك- والتي يمكن أن تتكرر في أجيال أخرى وبيئات أخرى- كما يشير إلى طبيعة المنهج في أخذ الأمر رويداً رويداً ومراعاة الرواسب والمشاعر والملابسات والوقائع.. في عالم الواقع.. مع الخطو المطرد الثابت نحو تبديل هذا الواقع![22]. وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "دَخَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كُلُّ مُحْدِثٍ فِي الدِّينِ وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ، أَيْ: إِنْ قَعَدْتُمْ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَخُوضُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ وَرَضِيتُمْ بِهِ فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ مِثْلُهُمْ".[23]

وقال الإمام الشوكاني، رحمه الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 68]: "وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمَّحُ بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله، ويتلاعبون بكتاب الله وسنة رسوله، ويردون ذلك إلى أهوائهم المضلة، وبدعهم الفاسدة، فإنه إذ لم ينكر عليهم ويغير ما هم فيه فأقل الأحول أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزهه يتلبسون به شبهة يشتبهون بها على العامة فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر، وقد شاهدنا في هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه وبلغت إليه طاقتنا ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذياتهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه

ويعسر دفعه، فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدا أنه من الحق وهو والله من أبطل الباطل وأنكر المنكر "[24]

ويؤكد هذا المعنى كثير من العلماء الذين كانوا يحذرون من الاستماع لأصحاب الأهواء والبدع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى: " ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم أو ذبّ عنهم، وأثنى عليهم، أو عظم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يُدرى ما هو؟ أو قال: إنه صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات لأنهم أفسدوا العقول والأديان "[25].

قال الفضيل بن عياض: "من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة"، وقال: "من أحبَّ صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه".[26] وقد ورد عن سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لَمَّا هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَعَلَ الْمُنَافِقُونَ يجالسون المسلمين، إذا سَمِعُوا الْقُرْآنَ خَاضُوا وَاسْتَهْزَءُوا كَفِعْلِ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَا حَرَجَ عَلَيْنَا قَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَنَا فِي مُجَالَسَتِهِمْ، مَا عَلَيْنَا فِي خَوْضِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، فَنَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ قَوْلُهُ: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ.[27]

وقوله وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ... يعني أيها المؤمنين "لا تجاوروا أرباب الوحشة فإن ظلمات أنفسهم تتعدى إلى قلوبكم عند استنشاقكم ما يردّون من أنفاسهم، فمن كان بوصف ما متحققا شاركه حاضروه فيه فجليس من هو في أنس مستأنس، وجليس من هو في ظلمة مستوحش. ويقال هجران أعداء الحقّ فرض، ومخالفة الأضداد ومفارقتهم دين، والركون إلى أصحاب الغفلة قرع باب الفرقة".[28]

وإن الآية يستفاد منها فوائد: أولها أن الاستهزاء بالحقائق القرآنية لَا يقدم عليه مؤمن. وثانيها أن الاستماع إلى الكفر بها والاستهزاء يجعل السامع كالمتكلم؛ لأن السكوت لَا يخلو

من رضا ولو كان جزئيا، ثالثها أن الشر يسري من القائل إلى السامع كما يسرى السم في الجسد، وكما يجري الشيطان في النفس.[29]

ويُلاحظ أن الآية حذرت من نتيجة مجالستهم فقالت: {إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ}، وهذا صريح في أن تلك المجالس قد تتسبب في تحول المؤمن عن عقيدته، فهذه الكلمة ترهب المؤمن وترعبه: {إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ}؛ أي: إنكم إذا قعدتم معهم وهو يخوضون في آيات الله تكفرون مثلهم؛ لأنكم تسمعون الخوض في الدين بالباطل، ومن يرض بالكفر يكفر. لذا جاء التحذير من كل ذلك صونا للعقيدة وحراسة لها.

كما يُلاحظ في الآية أنها حددت النهي عن مجالستهم في وقت الكفر والاستهزاء بآيات الله، أي أنها تركت المجال مفتوحا لمجالستهم في غير ذلك من الأوقات، وهذا حتى يظل باب الدعوة مفتوحا لهم، فنحن مأمورون بالدعوة إلى الله، ولا يصح مقاطعة الناس بحجة حماية العقيدة، وإنما مقاطعتهم تكون بترك مشاركتهم في مجالس اللغو والهزؤ، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء:63] فجمعت هذه الآية بين الإعراض عنهم في حال تلبسهم في المعاصي، وبين الأمر بوعظهم في غيرها من الأحوال.

المطلب الثاني: التحذير من بعض أهل الكتاب والنهي عن طاعتهم

من الآيات المهمّة التي تظهر خطورة بعض طوائف أهل الكتاب قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: 100]

يؤكد سيد قطب في معرض تفسيره لهذه الآية؛ على التحذير المتكرر للأمة المسلمة من اتباع أهل الكتاب، وإلا فسيقودونها إلى الكفر لا مناص؛ إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة؛ فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها. فهذه العقيدة هي صخرة النجاة وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة. وأعداؤها يعرفون هذا جيدا. يعرفونه قديما ويعرفونه حديثا،

ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كلما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعدة. وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين. وحين يعييهم أن يحاربوها بأنفسهم وحدهم، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون- زورا- للإسلام، جنودا مجندة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعا غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها[30]. فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طواعية واستماعا واتباعا، فهم، لا شك، سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلال.[31]

ولعلّ سيد قطب وصف الواقع الحاليّ وصفاً دقيقاً، فيرى المرء اليوم الحملات الخبيثة، التي يُسخرها المنافقون وأهل الكتاب؛ لأجل توهين العقيدة في نفوس المؤمنين، فالعقيدة هي الخير الضخم، الذي ينفسونه على المسلمين![32]، والنخر فيها ما استطاعوا لذلك سبيلاً هو أسمى أمانيهم وأهم أهدافهم.

والنصوص في كتاب الله عزّوجل التي تقرر هذه الحقائق من الوضوح والجزم، حيث لا تحتاج منا إلى تعليق، وهذه نماذج منها:

- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة:105].
- ﴿كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [البقرة:109].
- ﴿تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة:120].

وفي هذه النماذج وحدها ما يكفي لتقرير حقيقة موقف أهل الكتاب من المسلمين، فهم يودون لو يرجع المسلمون كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق. وهم يحددون موقفهم النهائي من المسلمين بالإصرار على أن يكونوا يهودا أو نصارى، ولا يرضون عنهم ولا يسالمونهم إلا أن يتحقق هذا الهدف، فيترك المسلمون عقيدتهم نهائيا.[33] وأعظم ما

يكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين. فكيف يختارهم الله لهذا الخير وينزل عليهم هذا القرآن، ويحبوهم بهذه النعمة، ويعهد إليهم بأمانة العقيدة في الأرض، وهي الأمانة الكبرى في الوجود.[34] فيُعلَمَ من ذلك أن أهل الكتاب وجهوا معولهم إلى أساس العقيدة في نفوس المسلمين![35]

والآية صريحة في بيان نتيجة طاعتهم، وأنها قد تودي بالمؤمنين إلى الارتداد عن الدين، ولذا جاء التحذير من طاعتهم، لتحصين عقائد المؤمنين، " ومعنى ذلك أن الله نبّه الفئة المؤمنة إلى أن الذين يكفرون بآيات الله لن يهدأ بالهم ما دمتم أنتم – أيها المؤمنون – على الجادة، وما دمتم مستقيمين، ولن يهدأ للكافرين بآيات الله بال إلا أن يشككوا المؤمنين في دينهم، وأن يبغوها عوجا، وأن يكفروهم من بعد إسلامهم. وهذه قضية يجب أن ينتبه لها الذين آمنوا؛ لأن الذين يبغون الأمر عوجا قد ضلوا وأضلوا، وهم يشهدون على هذا، ويعلمون أنّ الله غير غافل عما يعملون، فماذا يكون موقف الطائفة المؤمنة؟ إن الحق سبحانه يوضحه بقوله: {يا أيها الذين آمنوا}. إن أهل الكتاب يحاولون أن يصدوا المؤمنين عن سبيل الله، وليس المقصود بالصد، أن هناك من يمنع المؤمنين من الإيمان، لا، بل هي محاولة من أهل الكتاب لإقناع المؤمنين بالرجوع والارتداد عن الإيمان الذي اعتنقوه؛ فالمؤمنون هم الطائفة التي تلتزم بالتكليف من الله، لذلك يحذرهم الحق سبحانه بقوله: {إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الذين أُوتُواْ الكتاب، يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} الحق يحدد قسما من الذين أوتوا الكتاب، وذلك تأريخ بنزاهة وصدق وحق ودون تحامل. كأن الحق سبحانه يبلغنا أن هناك فريقا من أهل الكتاب سيسلكون الطريق السوي، ويجيئون إلى المسلمين أرسالا وجماعات وأفرادا مع الإسلام؛ فالحق لا يتكلم عن كل الذين أوتوا الكتاب. لذلك يقول الحق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[36]. لذلك يجب على المؤمنين أن يكونوا حريصين على عقيدتهم أشد الحرص، فيتنبهوا لكل دعاوى الضالين والزائغين لئلا يميلوا إليهم فيخسروا خسرانا عظيما.

المطلب الثالث: التحذير من المساومة على العقيدة:

المطالع لظلال آيات القرآن الكريم، يجد التحذير من المساومة على العقيدة في أكثر من آية، كقوله عز وجل: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: 9]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾ [الإسراء: 73]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:1] وغيرها، وهذه الآيات تشير إلى مدى خطورة المساومة والمفاوضة على العقيدة، وهذا الأسلوب لا يقل خطورة عن فتنة المسلمين عن عقيدتهم بالأذى والاضطهاد، بل لعله أخطر، ولذا جاءت هذه الآيات كلها في التحذير من المساومة على العقيدة. والناظر في أحوال المسلمين اليوم، يجد أن فتنة المسلمين عن دينهم بالعنف والقتل والتشريد، لم تفلح مثلما أفلحت أساليب المساومة على العقيدة.

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: 8، 9] "فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة. وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير! فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها؛ لأن الصغير منها كالكبير؛ بل ليس في العقيدة صغير وكبير. إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء. لا يطيع فيها صاحبها أحدا، ولا يتخلى عن شيء منها أبدا. وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق. وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تعبر، ولا تقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة. وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق! ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون للنبي ﷺ ليدهن لهم ويلين ويترك سب آلهتهم وتسفيه عبادتهم، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول ﷺ كان حاسما في موقفه من دينه، لا يدهن فيه ولا يلين. وهو فيما عدا الدين ألين الخلق جانبا وأحسنهم معاملة وأبرهم بعشيرة وأحرصهم على اليسر والتيسير. فأما الدين فهو الدين! وهو فيه عند توجيه ربه: «فلا تطع المكذبين»!

ولم يساوم ﷺ في دينه وهو في أحرج المواقف العصيبة في مكة. وهو محاصر بدعوته. وأصحابه القلائل يتخطفون ويعذبون ويؤذون في الله أشد الإيذاء وهم صابرون. ولم يسكت عن كلمة واحدة ينبغي أن تقال في وجوه الأقوياء المتجبرين، تأليفا لقلوبهم، أو دفعا لأذاهم. ولم يسكت كذلك عن إيضاح حقيقة تمس العقيدة من قريب أو من بعيد".[37]

هذه الكلمات التي خطّها سيّد في ظلال هذه الآية حُقّ لها أن تُدرّس في كل ميدان، ليعلم المؤمن أن الدين هو الدين، وأن المساومة فيه مرفوضة قطعاً. فلا يأتي أحدٌ زاعماً أن المجاملة في الدين والمداهنة في شيء منه؛ لصالح الدعوة وإذابة الحواجز وتقريب الناس من الإسلام، فهذا والله لهو شر المزاعم وأخطرها على الدّين.

ويلاحَظ أن سيّد قطب أكد على ما سبق من خطورة المساومة على العقيدة، وقرّره في أكثر من موضع في ظلاله، ومن أجمل ما ذكره في ذلك، عند تفسيره قوله تعالى في سورة الاسراء: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 73-75].

يذكر أن السياق يعدد محاولات المشركين مع الرسول ﷺ وأولها محاولة فتنته عما أوحى الله إليه، ليفتري عليه غيره، وهو الصادق الأمين. لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى، منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم وما كان عليه آباؤهم. ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراما كالبيت العتيق الذي حرمه الله. ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلسا غير مجلس الفقراء، والنص يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها، ليذكر فضل الله على الرسول في تثبيته على الحق، وعصمته من الفتنة، ولو تخلى عنه تثبيت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلا. وللقي عاقبة الركون إلى فتنة المشركين، وهي مضاعفة العذاب في الحياة والممات، دون أن يجد له نصيرا منهم يعصمه من الله. هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائما؛ فهم يحاولون إغرائهم لينحرفوا- ولو قليلا- عن استقامة الدعوة وصلابتها. ويرضوا بالحلول الوسط

التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة. ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هينا، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق. وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها! ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق. وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة. لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء! والمسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها. فالذي ينزل عن جزء منها مهما صغر، والذي يسكت عن طرف منها مهما ضؤل، لا يمكن أن يكون مؤمنا بدعوته حق الإيمان. فكل جانب من جوانب الدعوة في نظر المؤمن هو حق كالآخر، فإياك أيها المؤمن من المساومة على عقيدتك فإنها رأس مال المرء إن قبل المساومة فيها ولو في جزء بسيط فهو بذلك يسلك طريق الخسران والهلاك والعياذ بالله.[38]

المطلب الرابع: تحرير العقول والقلوب من أسباب الفتنة عن الاعتقاد الصحيح

يلتفت سيد قطب خلال تفسيره إلى كثير من الأسباب التي قد تؤدي لفتنة الناس عن العقيدة، ومن ذلك تعلق العقول ببعض العادات والتقاليد والأوهام والأساطير، وكذلك غياب منهجية التفكير السليم والاستدلال المنطقي، ولجوء أعداء الدين إلى التخويف على النفس أو المال، ولذا نجد في ظلال بعض الآيات ما يدعو إلى تحرير العقول والقلوب من مثل تلك الأمور؛ من أجل حماية العقيدة والحفاظ عليها، ومن الأمثلة على ذلك:

1- تحرير العقول من التقليد الأعمى: ﴿قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة: 170، 171]

فيشير سيد قطب أن الآية هنا تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله، وتندد بالتقليد في هذا الشأن، والنقل بلا تعقل ولا إدراك، فإذا تركوا عقولهم وأصروا على اتباع ما

وجدوا عليه آباءهم؟ فأي جمود هذا وأي تقليد؟!، ومن ثم يرسم لهم صورة زرية تليق بهذا التقليد وهذا الجمود، صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني! بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح، وهم صم بكم عمي، وهذه منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها أمر العقيدة والشريعة[39].

يقول محمد رشيد رضا: "وإذا قيل لمتبعي خطوات الشيطان الذين يقولون على الله بغير علم ولا برهان: اتبعوا ما أنزل إليكم ولا تتبعوا من دونه أولياء، قالوا: لا، نحن لا نعرف ما أنزل الله، بل نتبع ما ألفينا؛ أي: وجدنا عليه آباءنا، وهو ما تقلدناه من سادتنا وكبرائنا ... لم يخاطب هؤلاء ببطلان ما هم عليه وتشنيعه خطابا لهم بل حكى عنهم حكاية بين فساد مذهبهم فيها، كأنه أنزلهم منزلة من لا يفهم الخطاب، ولا يعقل الحجج والدلائل، كما بين ذلك بالتمثيل الآتي. ولو كان للمقلدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم من التقليد، فإنهم في كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناسا بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه، وحسبك بهذا شناعة أن يتبعوا ما ألفوا لا يسلكون طريق العقل بالاستدلال على أن ما هم عليه من العقائد والعبادات حق، ولا يهتدون في أحكامه وأعماله بوحي من الله جاءهم به رسول من عند الله".[40] وقال البيضاوي: "هذا دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر أو الاجتهاد، أما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله".[41]

فانظر كيف هو حال المقلد الذي طُمس على قلبه وعقله فأصبح لا يعي شيئاً، لذا نبّه القرآن إلى أهمية تحرير العقل من هذا التقليد الأعمى والاحتكام في كل شيء إلى ما أنزل الله عزوجل مع إعمال العقل بالاجتهاد والنظر والتفكر.

2- تحرير العقل من اتباع شيء بغير علم ولا دليل، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: 28]

وفي ذلك يقول سيّد قطب: "فلا حجة ولا علم ولا يقين. إنما هو الظن يقيمون عليه العقيدة، والهوى يستمدون منه الدليل. والعقيدة لا مجال فيها للظن والهوى ولا بد فيها من اليقين القاطع والتجرد من الهوى والغرض، وهم لم يتبعوا الظن والهوى ولهم عذر أو علة: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى} [النجم: 23]، فانقطع العذر وبطل التعلل"![42].

ثم بعد عدة آيات، يقرّر الأمر ذاته: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} فهذا التعقيب الأخير؛ "يوحي بعلاقة اللات والعزى ومناة بأسطورة أنوثة الملائكة ونسبتهم إلى الله سبحانه! وهي أسطورة واهية، لا يتبعون فيها إلا الظن. فليس لهم من وسيلة لأن يعلموا شيئا مستيقنا عن طبيعة الملائكة. فأما نسبتهم إلى الله. فهي الباطل الذي لا دليل عليه إلا الوهم الباطل! وكل هذا لا يغني من الحق، ولا يقوم مقامه في شيء. الحق الذي يتركونه ويستغنون عنه بالأوهام والظنون"![43].

يقول البيضاوي: "إن الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم، والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية"[44]، فالقرآن ينهانا عن الظن في كل ما يتعلق بعقيدتنا، ويحثنا على النظر في الأدلة واتباعها بعلم، ويرد هذا في عدة مواطن، كما في قوله تعالى: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: 111].

3- تحرير النفوس من الخوف على الرزق: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} [القصص: 57].

إنها النظرة السطحية القريبة، والتصور الأرضي المحدود، هو الذي أوحى لقريش وهو الذي يوحي للناس أن اتباع هدى الله يعرضهم للمخافة، ويغري بهم الأعداء، ويفقدهم العون والنصير، ويعود عليهم بالفقر والبوار: {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}، فهم لا ينكرون أنه الهدى، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس. وهم ينسون الله، وينسون أنه وحده الحافظ، وأنه وحده الحامي وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم

وهم في حمى الله وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله. ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تقديرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه.[45]

وهذه المقولة {إِن نَّتَّبِعِ الهدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ} قالها الحارث بن عثمان بن نوفل، عندما ذهب إلى سيدنا رسول الله، وقال: إننا نعلم أنك جئتَ بالحق، ولكن نخاف إنْ آمنا بك واتبعنا هواك أنْ نُتخطّف من أرضنا، والخطْف: هو الأخْذ بشدة وسرعة.

إذن: فهم يُقرُّون للرسول بأنه جاء بالحق، لكن علة امتناعهم أنْ يتخطفوا، فأشد ما يمكن أن يصيبهم إنْ اتبعوا رسول الله أن يتخطفهم الناس في أموالهم أو في أنفسهم، قصارى ما يصيبهم خسارة عَرَض فانٍ من الدنيا لو استمر لك لتمتعتَ به مدة بقائك فيها، ولا يضيرك هذا إنْ كنتَ من أهل الآخرة حيث ستذهب إلى خير بَاقٍ دائم، خير يناسب قدرة المنعم سبحانه.

أما إنْ ظلُّوا على كفرهم، فمتاع قليل في الدنيا الفانية، ولا نصيبَ لهم في الآخرة الباقية. إذن: فأيُّ الطريق أهدى؟ إن المقارنة العقلية ترجح طريق الهدى واتباع الحق الذي جاء به رسول الله، هذه واحدة .ثم مَنْ قال إنكم إن اتبعتم الهدى مع رسول الله تُتخطَّفوا وتُضطهدوا؟ لذلك يرد الله عليهم: قُلْ لهم يا محمد: كذبتم، فلن يتخطفكم أحد بسبب إسلامكم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ .

فقد أنعم الله عليكم وأنتم كافرون مشركون به، تعبدون الأصنام في جاهلية، ومكَّن لكم حياة آمنة في رحاب بيته الحرام، ووفّر لكم رَغَد العيش وأنتم بوادٍ غير ذي زرع حيث يُجْبي إليه الثمرات من كل مكان، فالذي صنع معكم هذا الصنيع أيترككم ويتخلى عنكم بعد أنْ آمنتم به، واهتديتم إلى الحق؟ كيف يكون منكم هذا القياس؟ فلما كان الخوف على الرزق سببا لانصراف الجاهلين عن اتباع هذا الدين، يأتي القرآن ليطمئن هذه النفس البشرية بأنّ رزقها مكتوب محفوظ وأن الله عز وجل متكفل به[46]، فإياك أيها الإنسان أن تجعل خوفك على رزقك ومالك وعملك يفتنك عن عقيدتك!

المبحث الرابع: الأساليب الدفاعية لحماية العقيدة في ضوء تفسير الظلال:

تناول المبحث السابق الأساليب الوقائية، التي استخدمها القرآن لتحصين العقيدة قبل تعرضها لخطر أو شبهة أو فتنة والتي استُنبطت من تفسير الظلال لسيد قطب، وفي هذا المبحث سيتناول شيئا من الأساليب الدفاعية في ضوء الظلال، التي يجب أن تُستخدم للتصدي للشبهات والمخاطر والفتن بعد وقوعها.

المطلب الأول: الرد على الشبهات وتفنيدها وبيان بطلانها

يصف سيد قطب محاولات الأعداء خلخة العقيدة وإلقاء الشبهات فيها وصفاً بليغاً؛ إذ يبيّن أن أعداء الجماعة المسلمة لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولا في عقيدتها. كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونثر الشبهات وتدبير المناورات! كانوا يعمدون أولا إلى عقيدتها الإيمانية التي منها انبثق كيانها، ومنها قام وجودها، فيعملون فيها معاول الهدم والتوهين. ذلك أنهم كانوا يدركون كما يدركون اليوم تماما- أن هذه الأمة لا تؤتى إلا من هذا المدخل، ولا تهن إلا إذا وهنت عقيدتها، ولا تهزم إلا إذا هزمت روحها، ولا يبلغ أعداؤها منها شيئا وهي ممسكة بعروة الإيمان، مرتكنة إلى ركنه، سائرة على نهجه، حاملة لرايته. من هنا يبدو أن أعدى أعداء هذه الأمة هو الذي يلهيها عن عقيدتها الإيمانية، ويحيد بها عن منهج الله وطريقه. إن المعركة بين الأمة المسلمة وبين أعدائها هي قبل كل شيء معركة هذه العقيدة. وحتى حين يريد أعداؤها أن يغلبوها على الأرض والمحصولات والاقتصاد والخامات، فإنهم يحاولون أولا أن يغلبوها على العقيدة، لأنهم يعلمون بالتجارب الطويلة أنهم لا يبلغون مما يريدون شيئا والأمة المسلمة مستمسكة بعقيدتها، ملتزمة بمنهجها، مدركة لكيد أعدائها، ومن ثم يبذل هؤلاء الأعداء وعملاؤهم جهد الجبارين في خداع هذه الأمة عن حقيقة المعركة، ليفوزوا منها بعد ذلك بكل ما يريدون من استعمار واستغلال، وهم آمنون من عزمة العقيدة في الصدور! وكلما ارتقت وسائل الكيد لهذه العقيدة، والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقية الجديدة. لهذا كان القرآن يدفع هذا السلاح المسموم أولا، كان يأخذ الجماعة المسلمة

بالتثبيت على الحق الذي هي عليه وينفي الشبهات والشكوك التي يلقيها أهل الكتاب ويجلو الحقيقة الكبيرة التي يتضمنها هذا الدين ويقنع الجماعة المسلمة بحقيقتها وقيمتها في هذه الأرض، ودورها ودور العقيدة التي تحملها في تاريخ البشرية. وكان يأخذها بالتحذير من كيد الكائدين، ويكشف لها نواياهم المستترة ووسائلهم القذرة، وأهدافهم الخطرة، وأحقادهم على الإسلام والمسلمين، وكان يأخذها بتقرير حقيقة القوى وموازينها في هذا الوجود. فيبين لها هزال أعدائها، وهوانهم على الله، كما يبين لها أن الله معها، وهو مالك الملك المعز المذل وحده بلا شريك.[47]

يلحظ القارئ دقة سيد قطب في وصف الواقع المعاصر؛ حيثُ محاولات الأعداء ومكائدهم المستمرة في بث الشبهات وتدبير المناورات لتوهين العقيدة، ويؤكد سيد على أهمية قضية رد الشبهات وجلائها[48]، وأنها من أهم الأساليب الدفاعية التي يجب الاعتناء بها لحماية العقيدة من أي خطر يحيق بها والمحافظة عليها من كل خلخلة وانهيار يمكن أن يصيبها؛ وقد وصف بشكل دقيق مراحل التصدي لهذه الحملات الشعواء، فهو يتدرج في مراحل حماية العقيدة، فيرى أن أول خطوة هي التثبيت للجماعة المسلمة؛ ثم جلاء هذه الشبهات وتفنيدها والتصدي لها؛ لتظهر لهم الحقيقة؛ فلا يحيك في صدورهم شيء من شكّ؛ في أنهم ليسوا على الجادّة الصواب.

ولعلّ الردّ على الشبهات والتصدي لها، من أهم الأساليب التي يجب على الجماعة المسلمة الاعتناء بها، لدفع كلّ أذى يمكن أن يلحق بهذه العقيدة فيضلل الناس ويزيغ بهم عن الحق.

وهناك أمثلة كثيرة في نصوص القرآن الكريم، تبين كيف تصدى القرآن للعديد من الشبهات التي كانت تحوم حول العقيدة وتمكر بها؛ ومنها: شبهة تعلم النبي، صلى الله عليه وسلم، على يد غيره من البشر؛ وشبهة تحويل القبلة، وغيرها؛ ولعلّ المقام لا يتّسع هنا للغوص في هذه الجزئيات والتفصيل فيها كثيراً مع أهميتها.

المطلب الثاني: الحجر على دعاة الفتنة

ليس من الصواب أن تُتاح المنابر والمجالس لدعاة الفتنة والشبهات ليلقوها في أذهان الناس، بحجة الرأي والرأي الآخر، خاصة حين يكون الأمر لمجرد التشكيك في الدين، وليس بغرض التعليم والنقاش العلمي الجاد، وبإمكاننا استنباط هذا الأسلوب في التعامل مع أهل الشبهات، من قصة موسى، عليه السلام، مع السامري الذي فتن الناس في دينهم وعبدهم للعجل، وقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه:88]، وهي شبهة، لاقت آذانا صاغية من جزء كبير من قوم موسى، فكان الرد من موسى عليه السلام، أن وضّح للناس الحقيقة، وفنّد الشبهة، ثم أمر باعتزال السامريّ: ﴿لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه: 97].

انظر كيف يصف سيّد قطب هذا الفعل للدفاع عن العقيدة من خطر أدعياء الفتنة؛ فيقول: "على أية حال فقد أعلن موسى- عليه السلام- بطرد السامريّ من جماعة بني إسرائيل، مدة حياته. ووكل أمره بعد ذلك إلى الله. وواجهه بعنف في أمر إلهه الذي صنعه بيده. ليرى قومه بالدليل المادي أنه ليس إلها، فهو لا يحمي صانعه، ولا يدفع عن نفسه: ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفٗا﴾[طه: 97]، اذهب مطرودا لا يمسك أحد لا بسوء ولا بخير ولا تمس أحداً- وكانت هذه إحدى العقوبات في ديانة موسى. عقوبة العزل، وإعلان دنس المدنس فلا يقربه أحد ولا يقرب أحداً- أما الموعد الآخر فهو موعد العقوبة والجزاء عند الله.. وفي حنق وعنف أمر أن يهوى على عجل الذهب، فيحرق وينسف ويلقى في الماء. والعنف إحدى سمات موسى- عليه السلام- وهو هنا غضبة لله ولدين الله، حيث يستحب العنف وتحسن الشدة. وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف، يعلن موسى- عليه السلام- حقيقة العقيدة. ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ٩٨﴾ [طه: 98]

ويقول الماوردي في تفسيره: "إن هذا القول من موسى كان تحريماً للسامري، وأن موسى أمر بني إسرائيل ألا يؤاكلوه ولا يخالطوه، فكان لا يَمَسُّ وَلاَ يُمَسُّ"[49]. ويُلاحظ في

سورة الأنعام في قوله تعالى لمن يخوض في آيات الله: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ [الأنعام: 68] "هو إيذان بالمقاطعة؛ فلو أن إنساناً بهذا الشكل يسكن في منزل، ويذهب إلى البقال ليشتري منه شيئاً ليأكله فيرفض البيع له، وكذلك الجزار، وكذلك أي إنسان في يده مصلحة لمثل هذا الخارج عن المنهج، وبذلك تكون المقاطعة حتى يتأدب، ويعلم كل إنسان أن المجتمع غيور على دينه الذي آمن به، وأن الله أعز عليهم من كل تكريم يرونه في مجتمعهم، ولو أن كل واحد من هؤلاء المنحرفين والموغلين في الباطل لو رأوا المجتمع وقد قاطعهم ووضع لهم حدوداً لذهبوا إلى الصواب ولبحثوا عن شيء آخر ومجال آخر"[50].

وهذا يؤكد ما حدث مع السامري؛ إذ إن كل من يدعو إلى الفتنة يستحق أن يُعاقب بنفس المجتمع الذي كان يريد منه العِزّة والسُّلْطة والسيطرة والذكر؛ ليصبح منبوذا فيه، فيعلم مدى شنيع فعلته، التي فعلها.

المطلب الثالث: تغيير البيئة

حين تصبح البيئة التي يعيشها الإنسان معادية لاعتقاده، عداء شديدا يتسبب في فتنته عن دينه ومعتقده، يصبح الفرار بالدين مقدماً على التمسك بالوطن أو البلد؛ لأن حماية العقيدة والدفاع عنها، أولى من حماية المال والسكن ومكان العيش، ولطالما نادى سيد قطب هذا النداء، وأكد على هذه القضية في تفسيره في كثيرٍ من "المواطن"[51].

واستمع إلى سيد قطب بقلبك، وهو يفسر قول الله عزّوجل في سورة العنكبوت: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: 56].

فيقول: إن خالق هذه القلوب، الخبير بمداخلها، العليم بخفاياها، وما يستكن في حناياها، ليناديها هذا النداء الحبيب: يا عبادي الذين آمنوا: يناديها هكذا، وهو يدعوها إلى الهجرة بدينها، لتحس منذ اللحظة الأولى بحقيقتها. بنسبتها إلى ربها وإضافتها إلى مولاها: «يا عِبادِيَ»، ثم يعقب على ذلك بلمسة أخرى لقلوبهم فيقول لهم: «إِنَّ أَرْضِي واسِعَةٌ»، أنتم عبادي، وهذه أرضي، وهي واسعة فسيحة تسعكم. فما الذي يمسككم في مقامكم الضيق؟، الذي تفتنون فيه عن دينكم، ولا تملكون أن تعبدوا الله مولاكم؟ غادروا هذا الضيق

يا عبادي إلى أرضي الواسعة، ناجين بدينكم، أحرارا في عبادتكم «فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ»، وما دامت كلها أرض الله، فأحب بقعة منها إذن هي التي يجدون فيها السعة لعبادة الله وحده دون سواه.[52]

وقد كان في هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة، وسيلة من الوسائل التي لجأ لها النبي ﷺ، لحماية العقيدة، حين اشتدت فتنة المشركين بالمسلمين، وكذلك الهجرة إلى المدينة المنورة،[53] وقد وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تحث على الهجرة، منها على سبيل المثال: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ * وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 97 - 100].

"وذكر أن هاتين الآيتين والتي بعدهما، نزلت في أقوام من أهل مكة كانوا قد أسلموا وآمنوا بالله وبرسوله، وتخلَّفوا عن الهجرة مع رسول الله ﷺ حين هاجر، وعُرِض بعضهم على الفتنة فافْتُتِن".[54]

وفي آيات سورة النحل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: 110] قال الطبري: "وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي، صلى الله عليه وسلم، فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله فيهم هذه الآية: فهاجروا ولحقوا برسول الله، ﷺ."[55]

فيُلاحظ مما سبق أن تغيير البيئة أمر ضروري عند اشتداد الفتنة، فعلى الإنسان أن يفر بعقيدته لحمايتها من أي زيغ وضلال كما حدث مع المؤمنين حين هاجروا ولحقوا برسول الله، ﷺ.

المطلب الرابع: الجهاد في سبيل الله

ليس القتال في الإسلام كما هو عند أصحاب العقائد الأخرى، حيث قتالهم لمطمع أو لمغنم أو لمجرد بسط النفوذ والسيطرة، ولنهب خيرات الشعوب الأخرى، بل غاية الجهاد في الإسلام غاية نبيلة، تتمثل في حماية العقيدة ودفع الظلم عن المظلومين، وذلك حين يتعرض المؤمنون للفتنة في دنيهم، أو حين يُكرهون على ترك معتقدهم، ولعلّ الجهاد في سبيل الله من أعظم الأساليب في الدفاع عن العقيدة وحمايتها. وقد ركّز سيد قطب على الغاية من الجهاد، وربطه ربطاً وثيقاً في حماية العقيدة والحفاظ عليها.

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:75].

بيّن سيد قطب أن أسلوب الخطاب في الآية إنما هو للجماعة المسلمة كلها. يلتفت إليهم لاستجاشة مروءة النفوس، وحساسية القلوب تجاه المستضعفين الذين كانوا يقاسون ما يقاسون على أيدي المشركين؛ غير قادرين على الهجرة إلى دار الإسلام والفرار بدينهم وعقيدتهم، وهم يتطلعون إلى الخلاص، ويدعون الله أن يجعل لهم مخرجاً من دار الظلم والعدوان.

يلتفت هذه الالتفاتة ليوحي إليهم بسمو المقصد، وشرف الغاية، ونبل الهدف، في هذا القتال، الذي يدعوهم أن ينفروا إليه، غير متثاقلين ولا مبطئين. وذلك في أسلوب تحضيضي يستنكر البطء والقعود. وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم. والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض، وحق المال والأرض!

ومشهد المرأة الكسيرة والولد الضعيف، مشهد مؤثر. لا يقل عنه مشهد الشيوخ الذين لا يملكون أن يدفعوا- وبخاصة حين يكون الدفع عن الدين والعقيدة- وهذا المشهد كله معروض في مجال الدعوة إلى الجهاد والدفاع عن العقيدة. مؤكداً على أنّ راية المسلم التي يحامي عنها هي عقيدته. ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه وأرضه التي يدفع عنها هي «دار الإسلام» التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجاً للحياة.[56]

والآيات والنصوص التي صرحت بأن الجهاد شُرع لحماية العقيدة والدفاع عنها، وحماية الناس من الفتنة في الدين كثيرة لا حصر لها، منها؛ ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:193]. والنص هنا إذا كان- عند نزوله- يواجه قوة المشركين في شبه الجزيرة، وهي التي كانت تفتن الناس، وتمنع أن يكون الدين لله، فإن النص عام الدلالة، مستمر التوجيه. والجهاد ماض إلى يوم القيامة. ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين، وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله. والجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة وتطلق الناس أحراراً من قهرها، يستمعون ويختارون ويهتدون إلى الله. وهذا التكرار في الحديث عن منع الفتنة، بعد تفظيعها واعتبارها أشد من القتل، هذا التكرار يوحي بأهمية الأمر في اعتبار الإسلام، وينشئ مبدأ عظيماً تتقرر فيه قيمة الإنسان بقيمة عقيدته، وتوضع حياته في كفة وعقيدته في كفة، فترجح كفة العقيدة. كذلك يتقرر في هذا المبدأ من هم أعداء «الإنسان»؛ إنهم أولئك الذين يفتنون مؤمناً عن دينه، ويؤذون مسلماً بسبب إسلامه. أولئك الذين يحرمون البشرية أكبر عنصر للخير ويحولون بينها وبين منهج الله. هؤلاء على الجماعة المسلمة أن تقاتلهم، وأن تقتلهم حيث وجدتهم «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ». وهذا المبدأ العظيم الذي سنه الإسلام في أوائل ما نزل من القرآن عن القتال ما يزال قائماً. وما تزال العقيدة تواجه من يعتدون عليها وعلى أهلها في شتى الصور، وما يزال الأذى والفتنة تلم بالمؤمنين أفراداً وجماعات وشعوباً كاملة في بعض الأحيان؛ لذا وجب على المؤمنين أن يتسلحوا بالجهاد في سبيل الله للدفاع عن عقيدة الإسلام التي هي أساس الدين كلّه وأساس قيام المجتمعات المسلمة[57].

خاتمة:

تخلص هذه الدراسة إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- بين سيد قطب منهج القرآن الكريم في بناء العقيدة، من خلال ربط القرآن الاعتقاد بالعمل، وجعل العقيدة أساسا تُبنى عليه مجالات الحياة كافة.

2- ركز سيد قطب على قضية الاستمرار في بناء العقيدة وترسيخها في النفوس، حتى يبقى البناء قوياً لا تعصف به عوادي الدهر.

3- طرح سيد قطب مجموعة من الأساليب الوقائية لحماية العقيدة، ومن أهمها: النهي عن مجالسة المنافقين وأصحاب البدع، والنهي عن موالاة أهل الكتاب، والتحذير من المساومة على العقيدة.

4- من الأساليب المهمة التي أبرزها سيد قطب في ظلاله لحماية العقيدة؛ ما يتعلق بالجانب القلبي والعقلي، وذلك بتحرير العقول والقلوب من أسباب الفتنة، وتحريرها من التقليد الأعمى، ومن اتباع شيء بغير علم ولا دليل، وكذلك تحريرها من الخوف على الرزق.

5- طرح سيد قطب مجموعة من الأساليب الدفاعية لحماية العقيدة، في حالة تعرضها للخطر، ومن أهمها: الرد على الشبهات وتفنيدها، والحجر على دعاة الفتنة، وتغيير البيئة، وإعلان الجهاد في سبيل الله.

التوصيات:

يوصي الباحث بالقيام باستقراء كامل لتفسير في ظلال القرآن؛ واستنباط أساليب أخرى لحماية العقيدة من الفتن والضلالات، سواء كانت أساليب وقائية أم دفاعية؛ فتفسير الظلال غنيّ جداً بالنصوص التي تطرح قضايا العقيدة، وتتناولها بأسلوب معاصر يلامس الواقع ويعالج ما يُحاك له من مؤامرات لتوهين عقيدته وهدمها.

.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية.
2. البربهاري، أبومحمد الحسن بن علي بن خلف النجمي، إرشاد الساري إلى توضيح شرح السنة، اعتنى به حسن بن محمد دغريري.
3. البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط1، 1420 هـ.
4. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي.
5. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، 2000م.
6. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
7. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت: 327هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة تزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ.
8. الخالدي: صلاح عبد الفتاح، مدخل إلى ظلال القرآن، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (1421هـ/ 2000م).
9. الخالدي، صلاح عبد الفتاح: سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد. (دار القلم- دمشق) ط1(2000م).
10. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، المنهج الحركي في ظلال القرآن، دار عمار، عمان – الأردن، (ط.2)، 2000م.
11. رضا، محمد رشيد (ت:1354م)، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
12. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التّفسير في القرن الرابع عشر، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدّعوة والإرشاد، السّعوديّة، (ط.1)، 1986م.
13. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ)، زهرة التفاسير، دارالفكر العربي.
14. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن. دار الشروق- القاهرة. ط17(1425هـ).
15. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت:1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق- بيروت القاهرة، الطبعة السابعة عشر - 1412 هـ.
16. الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م.
17. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
18. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل آي القرآن- ت شاكر.
19. عبّاس، فضل حسن، التّفسير والمفسرون، دار النفائس، الأردن، (ط.1)، 2016م.

20. العظم، يوسف، رائد الفكر الإسلاميّ المعاصر: الشّهيد سيّد قطب، دار القلم-دمشق/بيروت.
21. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم بسيوني.
22. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: 450هـ) النكت والعيون، السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية بيروت.
23. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مذكرات سائح في الشرق العربي، مسؤسسة الرسالة-1975م.

[1] الخالدي، سيّد قطب الشّهيد الحيّ، (ص:80-89). الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد، 67-80. العظم، يوسف، رائد الفكر الإسلاميّ المعاصر: الشّهيد سيّد قطب، (ص:31-32)

[2] الندوي، مذكرات سائح في الشرق العربي، ص189. الخالدي، سيد قطب الأديب الناقد، 274.

[3] الخالدي، المنهج الحركي في ظلال القرآن، 76.

[4] الرومي، اتجاهات التّفسير في القرن الرابع عشر، (983/3).

[5] عبّاس، فضل، التّفسير والمفسرون، (357/2).

[6] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص8.

[7] الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، ص50 وما بعدها.

[8] عباس، التّفسير والمفسرون، (421/2-430).

[9] سيد قطب، في ظلال القرآن، 13/1.

[10] سيد قطب، في ظلال القرآن، 1012/2.

[11] سيد قطب، في ظلال القرآن، 252/1.

[12] سيد قطب، في ظلال القرآن، 3594/6.

[13] سيد قطب، في ظلال القرآن، 337/1.

[14] سيد قطب، في ظلال القرآن، 1233/3

[15] سيد قطب، في ظلال القرآن، 1180/3.

[16] سيد قطب، في ظلال القرآن، 3260/6.

[17] سيد قطب، في ظلال القرآن، (423/1، 328) (1503/2، 1057) تكررت هذه الأفكار في سطور هذه الصفحات.

[18] سيد قطب، في ظلال القرآن، 2478/4. الشعراوي، تفسير الشعراوي، 16/ 10128.

[19] سيد قطب، في ظلال القرآن، 973/2.

[20] سيد قطب، في ظلال القرآن، 1012/2.

[21] سيد قطب، في ظلال القرآن، 780/2.

[22] سيد قطب، في ظلال القرآن، 781/2.

[23] البغوي، معالم التنزيل،714/1.

[24] الشوكاني، فتح القدير، 150/2.

[25] ابن تيمية، مجموع الفتاوى،132/2.

[26] البربهاري، إرشاد الساري، ص136.

[27] ابن ابي حاتم، تفسير القران العظيم، 1317/4.

[28] القشيري، تفسير القشيري، 1 /275.

[29] أبو زهرة، زهرة التفاسير، 1912/4.

[30] سيد قطب، في ظلال القرآن، 438/1.

[31] سيد قطب، في ظلال القرآن، 439/1.

[32]سيد قطب، في ظلال القرآن، 101/1.

[33]سيد قطب، في ظلال القرآن، 1627/3،1626.

[34] سيد قطب، في ظلال القرآن، 101/1

[35]سيد قطب، في ظلال القرآن، 99/1.

[36]الشعراوي، تفسير الشعراوي، 1648+1649.

[37]سيد قطب، في ظلال القرآن، 3659/6.

[38]سيد قطب، في ظلال القران، 2245/4.

[39]سيد قطب، في ظلال القرآن، 155،156/1

[40] رضا، تفسير القرآن الحكيم، 74/2.

[41]البيضاوي، أنوار التنزيل،119/1.

[42]سيد قطب، في ظلال القرآن، 3408/6

[43]سيد قطب، في ظلال القرآن، 3409/6.

[44]البيضاوي، أنوار التنزيل، 160/5.

[45]سيد قطب، في ظلال القرآن، 2703/5.

[46]الشعراوي، تفسير الشعراوي، 10967/18.

[47]سيد قطب، في ظلال القرآن،354/1.

[48]سيد قطب، في ظلال القرآن، (352/1، 365/1، 378/1، 1634/3).

[49] الماوردي، النكت والعيون، 423/3.

[50]الشعراوي، تفسير الشعراوي، 2731/5.

[51]سيد قطب، في ظلال القرآن، (616،744،745/2)،(2718/5) في بعض من المواطن تكرر التأكيد فيها على هذه الفكرة.

[52]سيد قطب، في ظلال القرآن، 5/ 2748،2749.

[53]سيد قطب، في ظلال القرآن، 30/29/1

[54]الطبري، جامع البيان، 102/9.

[55]الطبري، جامع البيان، (17/ 306):

[56]سيد قطب، في ظلال القرآن، 708،709/2.

[57]سيد قطب، في ظلال القرآن، 190/1.